النشاط الثقافي في الغرب

انكلترا

رواية انكليزية ((وجودية)) ...

*

تعتبر الروائية الانكليزية المعاصرة ايريس ميوردوك Iris Murdoch افضل روائيي جيلها . وقد صدر لها حتى الان اربع روايات كان اخرها ((الجرس)) The Bell ، وربما كان افضل انتاجها . وهذه السيدة الوقور تثير بكتابتها اكبر مشاعر الدهشة والفضيحة ، وهي استاذة فلسفة في جامعة اكسفورد ، وتعتبر روائية وجودية . فهي تخفي تحت الاشكال التقليدية للرواية الانكليزية نوعا من ((اخلاقية الالتباس)) يضع المتفجرات تحت الاخلاق الفاضلة . غير ان مخيلتها وروح النكتة عندها ، ونزعة المحسوس ، كل ذلك قد اعطى الرواية الوجودية شكلا جديدا .

وقد صنف النقد الانكليزي ايريس ميوردوك في فئة ((الشبان الغاضبين)) . والواقع ان روايتها الاولى كانت تكشف عن لهجة خشنة، فيها خيبة وفيها نزعة للانتقام . يشتهر بها كتاب ما بعد الحرب الانتقاديون الذين كانوا يكنون غضبا متناقضا للمجتمع الذي كانوا يجدونه، مع ذلك ، مريحا ومترفا. فان ابطالها الاولين كانوا، كالشبان الغاضبين ، محطمي ايقونات اكثر منهم ثوريين . لقد كانوا يعيشون عيشة مريحة ، في فرق صغيرة من الفنانين والسينمائيين ، ويتبادلون رفيقاتهم في مزيج من الحيوية الحيوانية والحزن الخائب . وكان همهم الاكبر الا يكونوا مخدوعين. ولقد كانت الاوهام المثالية والطهارة والثقافة والمواطف الكبيرة مرماهم المفضل .

وتتميز كتابات ميوردوك بنزعة واضحة لمناهضة الرومانتيكية . وهي بالمقابل مفرمة بالالات والتكنيكات ، وفي رواياتها كثير من الدوامات والعجلات والدواليب والحبال التي تتقطع . هذا الميل الى الاشياء والحذر من الافكار هما الطريقة الجديدة ليكون الانسان يساريا ، طريقة جيل رأى الى اين تفضي البلاغة الايديولوجية التي كانت عزيزة على اليساريين في الماضي . ان الالات والدواليب هي اسلحة نزعة للحياة تفضل لذة الاشياء على الحماسات النظرية .

ورفض الوهم المثالي يتخذ لدى ايريس ميوردوك معنى اعمق . فليست القضية هي فقط الاستمتاع على حساب التقاليد والمواضعات، وانما هي تحرير الروح الانسانية .

وقد سبق لقراء روايات ميوردوك الاولى ان اكتشفوا ، تحت احداث المغامرات ، تاملا فاجعا عن ((الموت المستمر للزمن)) ، وتسلطا للعرضي وتدبق الاشياء ، وذلك يعزى الى التفكير الظاهراتي والى الحساسية النسوية في وقت واحد . وتعبر ايريس ميوردوك ، باشكال مختلفة ، عن رغبة شبيهة برغبة فيرجينيا وولف بانقاذ اللحظة ، وبمنع الوعي من تجميد الحساسية ، ومنع النظام من استعباد الكائن . وفي هذه الرواية ((الجرس)) (التي ترجمت الى الفرنسية بعنوان ((مياه الاثم))) نرى دورا ، البطلة الرئيسية ، تترك حقائبها لتلتقط فراشة، وهذا رمز يعود للمرة الثالثة في انتاج الكاتبة ، ثم تخلع حذاءها وجوربها ، لتقوم بوصال شهواني مع الارض . وهنا تختلف ايريس ميوردوك عن فيرجينيا وولف التي تستجيب لفساد الجمالية والموت الرومانتيكيين بان تهرب من ((السحر)) ، كما يبدو ذلك من عنوان روايتها الثانية . فبينما نجد لدى فيرجينيا وولف ماء جاريا مفرط النقاوة ، نجد لدى ايريس ميوردوك مستنقعا آسنا ، بشريا ، مفرط البشرية .

ورواية ((الجرس)) هجاء ساخر لافكار ((الخير والشر)) الميتافيزيقية، وللائم والفضيلة ، وكلها رواسب اخلاقية مسيحية مستديمة ما تزال تكتسح الضمائر الحديثة .

ففي ظلال دير بندكتي ، نشات جماعة صغيرة من المثقفين الذين يعانون مرض الروحانية . وقد انفصلوا عن العالم وراحوا يعيشون في النقاوة ، ويطهرون ارواحهم بانشاد الحان لباخ . وكانوا متحمسين لقربهم من الدير ، مما زهدهم بالشيطان واعماله ، اي بانفسهم . لقد زيفوا كل كيانهم ليجسدوا ((الفضائل)) في ((باليه)) مدهش يقوم به ((مخبولون)) : الحاكم والنادم والتقي والموسيقي . ولكنهم لفرط حرصهم على ان يكونوا ملائكة ، اصبحوا وحوشا . فان العواطف المهووسة التي تكتبها تلك الطهارة الضالة ، ما تلبث ان تنفجر في سلسلة

من القفزات البهلوانية تكشف تحت النعيم الشخصي جحيما فخما ينفل فيه السفاح والسدومية والزنا والغرور وجميع المحرمات المسيحية .

وهكذا تنهار هذه الجماعة ، التي تفرط في طلب الفضيلة ، تحت تأثير دوار نقاوتها ، فتسقط في مياه الاثم الثقيلة . ولا ينجو غير دورا ، الآثمة ، التي كانت ترفض الايمان بالخير والشر ، بالرغم من استنكار الفاضلين ، لانها ترفض عبودية النقاوة . انها تتبع دروب حريتها الوعرة ، حريصة على الا تفقد شيئا من نفسها ، وعلى ان تتذوق كل شيء وكل لحظة .

اما « اخلاقية الالتباس » فتجد رمزها في الماء الآسن الثقيل الذي يغمر الرواية كلها . انه وجود مائي منسلط يذكرنا دون انقطاع بالتباس الحياة نفسها . ان هذه المياه العميقة ليست خطرة الا بالنسبة لمن يصاب منها بالدوار وهو متشبث بفضيلته اللابشرية . اما من يعلم السباحة ، كدورا ، ويغطس في هذا الماء من غير ان يخشى ان تتسخ يداه ، فان ماء الاثم يحمله الى شواطىء اخرى من نفسه ، اجمل واهدأ.

وبالطبع فان هذه الاخلاقية السارترية ليست مبذولة بطريقة تقريرية ، وانما توحيها رموز الاحداث . فالاشياء هنا تزن اكثر مما تزن الافكار . والحق ان هذه رواية اسفنجية ، ممتلئة بالاحاسيس والاجواء والاصداء . فالانسان وعواطفه ، والارض وثمارها ، والسماء واجواؤها ، تمتزج في حقيقة قد اعيد تاليفها ، فكان كل شيء فيها وكل حركة واقعا ورمزا ، بحيث ان هذا العالم لا يشرح بالعودة الى معالم خارجية ، وانما يشرح من نفسه وبنفسه . ولا ريب في ان خلق عالم صغير كهذا ، وتحريك شبكة من العلاقات معقدة الى هذا الحد ، انما يكشفان عن فن بارع اصيل .

قد تحكم الرواية البسيكولوجية العمودية على هذا الكتاب بانه مفرط الكثافة والغنى . ولكن الرموز المندمجة اندماجا حسيا بالحركة المدومة لا تلقي عليه اي ظلام او غموض . وهكذا فان « الجرس » هو في وقت واحد قلب للرمز ومحرك للعمل . انه شيء واقعي نضيعه ونجده مرة اخرى ، وهو يسقط في الماء ، ثم يخرجونه من الماء ، ويستعاض عنه بسلسلة من الحوادث نصف الشعرية ونصف البهلوانية التي تكشف عن ان موهبة ايريس ميوردوك تلعب على جميع اوتار الفكاهة ، ولاشك في ان الاستعاضة عن الاجراس وعن قدسيتها بمنظر الكاهن وهو يركب سيارة « رولزرويس » فخمة ، انما تنتمي الى ابرز خطوط الرواية الانكليزية اللاواقعية . واستخراج الجرس من الماء ينتهي بمنظر عجيب : هو منظر الحبيبين المتعانقين اللذين يسقطان بسبب من قلة الحذر ، في هذا الجرس نفسه ، ويستيقظ اهالي الدير على صدى المناقشات الغرامية عند البرونز المقدس ! ثم يصير هذا الجرس ، الذي اصبح ماوى للاثم ، الى مكانه الحقيقي : المتحف ! لقد اعترفت ايريس ميوردوك بجمال هذا الجرس ، ولكنها اوحت لنا في الوقت نفسه ، بانه لم يوضع في المكان الملائم ، شانه في ذلك شان « كنيسة الخير والشر » وهكذا تكون صيحة هذه الرواية « الفاجرة » التي لا ينبغي ان تقع في ايدي الاتقياء : ضعوا الاجراس في المتاحف !

ولا ريب في ان روح الفكاهة الانكليزية ، بالتباسها الطبيعي ، تخدم تماما « اخلاقية الالتباس » . وهذه الروح الفكاهية هي التي اتاحت لايريس ميوردوك ، اكثر مما اتاحت لها النزعة الرمزية ، ان تنجح في كتابة هذه الرواية الوجودية التي لم يصدر مثلها سارتر ولا سيمون دو بوفوار ، ربما لانهما تعوزهما بعض الروح الفكاهية ، اي هذا الميل للحسي وللنسبي الذي يجهض جميع المحاولات النظرية للفكر الرصين. وقد سبق لايريس ميوردوك ان كتبت في دراستها عن سارتر : « ان سارتر يهتم اهتماما حادا بالتفاصيل الحسية في الحياة المعاصرة ، ثم هو يملك رغبة مهووسة في بناء خطوط رمزية ترضي الفكر . ولكنه (...) لا يعتبر النثر الروائي الا كآلة للتحيل . وهو لا يرى ان على هذا النثر ايضا ان يخلق صورة كلية وغير قابلة للتصنيف » .

وهذه الصورة هي التي تعطينا اياها ايريس ميوردوك . ان الفكاهة قد انقذت الوجودية في روايتها ، وبالمقابل ، فان الوجودية قد ردت للحس الفكاهي الانكليزي كل حدته القديمة . فبعد سنوات طويلة من الانقيادية بين يدي امثال شاسترتون وافلين ووغ ، تعود الفكاهة الانكليزية فتصبح شيئا خطرا على الاخلاق الفاضلة(١) .

فرنسا

حمى موسم الجوائز ...

*

بعد فترة « الموت » الادبي التي تدوم كل سنة طوال اشهر الصيف الثلاثة ، تاتي فترة « العودة » الادبية لتمهد « للموسم الجديد الذي يبشر بقرب اعلان الجوائز الادبية الكبرى .

وهذه العودة تعني ثلاثة اشهر من المناقشات والمنازعات والهمسات وثورة الاعصاب والانتظار . انتظار مواهب جديدة تحملها كتب جديدة ، قد يكون مؤلفوها معروفين وقد لا يكونون . وفي هذه الفترة تنشط دور النشر لاخراج اكبر عدد ممكن من كتبها ، وترتفع نسبة الكتب الصادرة في هذه الاشهر الى ذروة النشاط النشري . فقد اصدرت دار غاليمار مثلا ، في شهر ايلول الماضي وحده ، خمسا وعشرين رواية ، واصدرت دار جوليار ثماني عشرة . اما الدور الاخرى ، كدار سوي او غراسيه، فقد اكتفت بست اوسبع روايات لمدة فصل الخريف.

وبين اواخر آب ومنتصف تشرين الاول ، تكون خمس عشرة دارا

(١) هذه الدراسة كتبها جاك كابو ونشرت في مجلة « اكسبرس » بالشهر الماضي .

صدر حديثا :

رسائل مورقة

احدث ديوان

للشاعر العربي الكبير

سليمان العيسى

منشورات دار الاداب

النشاط الثقافي في الغرب

للنشر في باريس قد نشرت لما يقارب مئة وخمسين كاتبا روائيا جديدا (ويدخل في هذه الفئة جميع ادباء الخيال والطموح الذين تتراوح اعمارهم بين الثامنة عشرة والستين والذين يصدرون اول كتاب لهم او الذين لم ينالوا شهرة واسعة بعد). وفي هذه الاشهر الثلاثة ، يبرز الادب بهذا الشكل المستعجل ، التجاري ، الصاخب ليحتل المكانة الاولى من اهتمام الناس ، فتتحدث عنه الصحف والاذاعة والتلفزيون ، ويؤمل الناشرون ان تحرز كتبهم جائزة من جوائز اواخر العام الحالي واوائل العام الجديد ، هذه الحقبة التي يحققون فيها ٤٠ او ٥٠ بالمئة من ارباحهم السنوية . فما الذي يشرح او يبرر هذه الحمى في هذه الفترة العام ؟ ان المفروض الا يجد الكتاب تشيعا خاصا في اعقاب العطلة الصيفية وعودة الطلاب الى المدارس والضرائب في تشرين الثاني ..

الجواب : انه عهد الجوائز الادبية . فليست هناك ظاهرة طبيعية « للعودة الادبية » ، وانما هناك فترة ، مصطنعة تماما ، للتمهيد الكثيف للجوائز ، وهنا تتجمع الظواهر البسيكولوجية والفنية والاقتصادية ، وعلى هذا النحو يجب ان تفهم القضية .

فلنفرض ان فلانا اصدر كتابا قبيل هذه الفترة . فاذا كان محظوظا باع من كتابة بضع مئات او بضعة الاف ، ولكنه اذا ربح جائزة ، ارتفع مبيع كتابه الى زهاء خمسين الف نسخة (اذا كانت الجائزة جائزة « الانترالييه ») او الى ثمانين الفا (اذا كانت جائزة) رينودو او حتى الى ١٥٠ او ٢٠٠ الف (اذا كانت جائزة فمينا او غونكور) . اما حقوق التاليف ، فان كاتبنا يحصل منها على ما لا يقل عن عشرة ملايين فرنك (زهاء ستين الف ليرة لبنانية) ويرتفع هذا المبلغ بالطبع اذا ترجمت روايته واخرجت في السينما . واما دار النشر ، فالمرجح انها تربح اكثر مما يربح المؤلف دون شك.. فالامر ، كما يبدو ، يستحق الاستغراق في الاحلام !

وبوسعنا ان نفهم اسباب تشوق المؤلف الى نيل جائزة : فهو يرغب في ان يكسب فجاة جمهورا قارئا ، ويود ان يكف الادب عن ان يكون بالنسبة اليه نشاطا «شرفيا» قد يغري ويثير الغرور ، ولكنه يظل شبه مجاني . هو ينسى ان جمهورا قارئا يكسبه عاما ، سيخسره بسهولة في العام التالي : فكم هم المرشحون لاحدى الجوائز الذي رأوا كمية المطبوع من احد كتبهم ترتفع من ٣٠٠٠ نسخة الى اكثر من ٢٠٠ الف ، ثم تهبط من جديد الى ٣٠٠٠ نسخة من الكتاب التالي .. ان نتاجا ما لا يمكن ان يفرض بصورة مصطنعة على جمهور ليس هو جمهوره . اما كتاب ما ، فهذا ممكن . فالقراء لا يهبطون من السماء ، وانما يستحقهم المؤلف استحقاقا ، مع الزمن ، وعلى قدر الجهد والبذل . تستطيع الجائزة ان تمارس تاثيرا قويا حين تتوج كاتبا سبق له ان اشتهر ولكن كمية المطبوع من كتبه لم تكن تبلغ الحد الذي يبرره تقدير النقاد والقراء .فلا شك في ان الجائزة تحمل لهذا المؤلف شهرة يستحقها فترفعه الى مستوى من النجاح يستطيع اخيرا ان يتماسك فيه . وجوائز « التكريس » هذه هي اكثر الجوائز جدوى ، واكثرها « اخلاقية » اذا صح التعبير . وقد افاد منها امثال سيمون دوبوفوار وجوليان غراك وروجيه فايان . ولكن الجوائز « التي تقتل » هي اكثر من ذلك بكثير. والواقع ان لها عدة طرق لقتل كاتب ولتحطيمه .

فهي اولا قد تدفعه الى كتابة نوع من الادب (الرواية) لا يبدع فيه دائما ، وهي تحثه على ان يفرغ من كتابه في وقت محدد يسبق فترة التنافس الخريفية ، ثم انها تغذي لديه مطامع واوهاما ليست لها مبررات وجيهة .

هذا قبل منح الجائزة ، اما بعدها ، فان الجائزة توشك ايضا ان تجرح الرجل . فهو حين يحصل عليها ، يصبح معرضا للتعود على الحياة المترفة السهلة ، وعلى عدم الاكتراث . اما اذا لم يحصل عليها (وهذا ما يحدث ٩٥ بالمئة عادة) فان ذلك قد يدفعه الى المرارة والنقمة والزهد .

واما بالنسبة لاصحاب دور النشر ، فربما كان الخطر ادق والمسؤولية اكبر مما لدى المؤلفين . فانهم يدخلون لمدة ثلاثة اشهر في « مرض الطباعة » الذي تتاثر به جميع مرافق المهنة ، فكل شيء يجري كما لو ان دار النشر تفكر في خلق «جمهور» مسبق ، فتشتغل له وتدفع مؤلفيها الى الاشتغال له . وهي تمارس هنا ضغطا معينا على لجان التحكيم .. وتواجه مشقات وصعوبات في اختيار المرشحين الجدد للجوائز .

اما بالنسبة للقاريء ، فان الجوائز تجعله في حيرة ، وتقيمه على حذر ، فينتظر راي النقاد ، ولاسيما النقاد المستقلين الذين لا يمتون بصلة « الصداقة » لدور النشر .. ولكنه يظل خاضعا للتاثر بآرائهم في اخر المطاف ، ويقبل على شراء الكتب التي يمدحونها ويثنون عليها. وهنا تبلغ الحمى درجة الاربعين .!

المانيا

« طبل » غانتر غراس

*

صدر اخيرا كتاب « الطبل » للروائي الالماني غانتر غراس ، الذي يعتبر في طليعة الادباء الالمان المعاصرين . وقد بدأ النقد يتحدث عن هذه الرواية بانها من امهات الكتب الحديثة في الادب الالماني المعاصر،

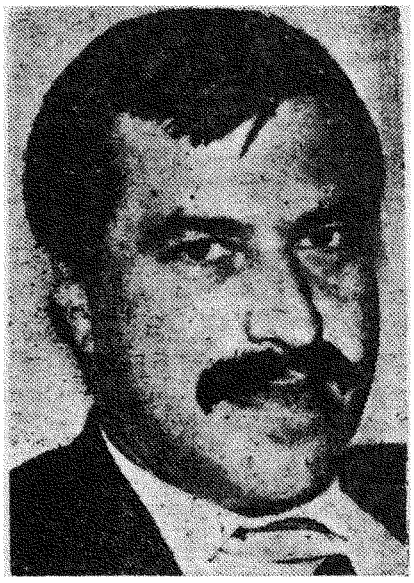

وهي على اي حال من هذه الكتب النادرة التي تخلف قراءتها اثرا عميقا في الفكر والحس . وميزتها الاولى هي انها تهدم آلية التفكير اي اللغة .

وبوسع القارىء ان يقارن هذه الرواية بآثار ستيرن ، ولا سيما روايته « تريسترام شاندي » ، من حيث جاذبية التجديف والدعارة او المواقف الفرامية ، والقوة وروح الفكاهة ، وفي الوقت نفسه الدقة التاريخية في الفوضى الظاهرة في تسلسل الاحداث . وقصة وجود البطل اوسكار وقصة وجود الراوي هما احيانا متحاذيتان واحيانا اخرى متراكبتان . فهما في وقت مؤلف وممثل ، وراو وبطل . غير ان اختلافا واحدا، هو ان اوسكار ليس مصنوعا على صورة البالغين الذين يحيطون به . وتفرده يكمن في انه غير ناجز ، صبي مسخ يمتاز بانه يرى ويعمل من غير ان يستطيع البالغون ان يمسكوا بهذه الرؤية او بذلك العمل . ثم ان اوسكار لا يهدم فيما حوله تنظيم الكائنات والاشياء ، بل هو لا يروي حتى ما يراه . ان ما يحدث في « الطبل » هو ما يحدث في ذهن اوسكار . وعلى هذا ، فان مغامراته مغامرات ادبية .

وفي مطلع الكتاب ، يكتشف القارىء اوسكار وهو متمدد على سرير الغرفة التي ينزل فيها في مستشفى للتطبيب النفسي . والى جانبه شيء واحد : طبل من طبول الصبية ، احمر وابيض ، من الحديد المصفح ، وهو لا ينقطع عن التطبيل به ، وفي ذلك اليوم ، يعزم اوسكار على كتابة رواية . ويطلب الورق اللازم ، ويبدأ في الكتابة . ويكتب ، كل ضربة عصا على الطبل تحرك اشخاص الرواية بالطريقة نفسها التي يحرك بها الساحر دماه . وابتداء من الاغنية الطفولية، حتى النشيد العسكري ، يظهر اجداد اوسكار وعائلتي ، وسكان دانزيغ ، واخيرا جيوش الحرب العالمية الثانية . ان هذا الطبل يحرك الكون كله.

واذ ذاك تنتظم الكلمات في عبارات ، والعبارات في فصول تتتابع ويولد اوسكار تحت نظر القارىء ، يولد بالتاكيد ، ولكنه لا ينمو ، لان هذا الصبي الصغير حتى العشرين من عمره يظهر بمظهر طفل في عامه الثالث. فهم يحملونه ويرثون له وينسونه. وهو يذهب حيث يشاء، ويعطل اوسكار طبلا كل خمسة عشر عاما ، وحين يطلق صرخته ترتعش زجاج النوافذ ، وقبة المسرح ، والواجهات التي تغلق الحوانيت ، وشبابيك الكنيسة . واذا تحرك جمع البالغين الكبار فان اوسكار هو الذي يكون تحتهم ، ينظم الحركة على ايقاع طبله . وهو يكتشف تجارة النساء في الوقت نفسه الذي يكتشف فيه وجود المسيح . ويشارك اوسكار في الدفاع عن دانزيغ ، ويجتاز اوروبا . وهكذا يصبح اوسكار ، بواسطة الكتابة ، نواة ذرة عملاقة .

ذلك ان اوسكار انما يكتشف بالكتابة العالم في الوقت الذي يكتشف فيه نفسه . ولكن فكاهة هذه اللغة المألوفة لا تتيح للقارىء ان يكتشف اوسكار . فان اوسكار غير موجود ، او هو بالاحرى لا يوجد من دون الراوي الذي يمسكه ، والمؤلف هنا لا يمضي قط بلا بطله . وما لا يستطيع الراوي ان يراه ، يريه اياه اوسكار وحيث لا يستطيع الراوي ان يذهب ، يقوده اوسكار . فاذا هذا الراوي، جاء التمرد من اوسكار . وهكذا فان اوسكار ، الشخصية الممسوخة بالمخيلة ، الشبيهة بحشرة ، يهدم شيئا فشيئا بواسطة الكلمات البناء كله الذي يبنيه الراوي امامه كلما تقدم خطوة .

تلك هي الافكار والصور التي توحيها قراءة هذه الرواية العجيبة التي فرض بها غانتر غراس نفسه كواحد من ابرع روائيي المانيا المعاصرين .

أصوات

مجلة تصدر أربع مرات في السنة

للثقافة والأدب والفن

مجلّة كلّ مثقّف

يمكن الحصول عليها من كبريات المكتبات في جميع أنحاء العالم العربي

تصدر عن :

ULP UNIVERSITY OF LONDON PRESS LIMITED

WARWICK SQUARE LONDON, E.C.4